أمثلة من الترجمة

Sabine Gruber
Daldossi oder Das Leben des Augenblicks

C. H. Beck Verlag, München 2016
ISBN 978-3-406-69740-1

صفحات: 7-11 & 118-127

سابينِه غروبر
دالدوسّي أو حياة اللحظة
ترجمة: نبيل الحفار

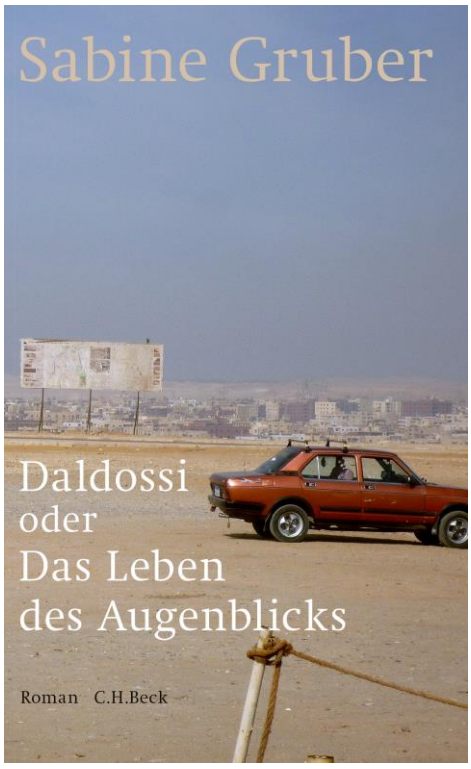

© 2017 Litrix.de

بسبب ضجيج المعركة غادرت الطيور الأشجار وطارت بعيداً.

جلس برونو دالدوسي على المقعد الخلفي في باص صغير ناظراً من النافذة. كانوا متجهين نحو القرية. حاول أن يفهم ما الذي حدث في هذه اللحظة أو ماذا كان يمكن أن يحدث، لكنه كان في الوقت نفسه منشغلاً. خلال يومين سيكون عند مارليز؛ كان بوسعه حتى هنا في الريف أن يشم رائحة جلدها، عبث في أفكاره بشعرها وقبلها بين ساقيها.

على الجانب الأيسر من الطريق غُرزت في الأرض عواميد خشبية طُليت بالأحمر. وعلى لوحة كتب أحدهم Danger.

ذات مرة في البوسنة اضطر دالدوسي إلى ترك الطريق كي يتبول. وفيما كان يعيد عضوه إلى البنطال ويرفع السحاب هرع على مسافة منه رجلان يصرخان باتجاهه. كان غارقاً في أفكاره، بحيث لم يفهم فوراً ما يريدان، ولا لماذا لم يقتربا منه. ثم قضى ساعتين في الحقل ثابتاً بلا حراك، حتى وصلت مجموعة رفع الألغام لتحريره من المنطقة الخطيرة.

سُمعت ثانية صليات مدفع رشاش. أدار رأسه لكنه لم يتبين شيئاً. وصله صدى الصليات من بعيد. الذخيرة الحية تولّد بعد الإطلاق طقة ثانية، وثالثة أحياناً عند الاصطدام.

قدَّر دالدوسي وجود القناصين وراء الهضبة المشجرة، حيث غربت الشمس قبل دقائق قليلة. بدأ برد الخريف ينتشر.

ماذا سيحدث الآن، سأله هنريك شولتْهايس الجالس إلى جانبه.

تابع دالدوسي تأمل المنظر صامتاً، رأى مقطعاً من سماء وأشجار ومرج في ضوء منتشر. لطالما كان يصور. حتى حينذاك عندما لم يكن قد امتلك كاميرا بعد. منذ طفولته كان دالدوسي بسبابتيه وإبهاميه يقلد شكل المستطيل ويراقب من خلال إطار الأصابع أشياء ما، كالسيارات والغابات والوجوه. وإذا سكنت حركته وقتاً كافياً، يكون قد أفلح في أن يرى أمامه الصورة المنجزة.

عندما بلغ العاشرة من عمره حصل من أمه بمناسبة عيد ميلاد المسيح على آلة تصوير. وكان أبوه يلومه دائماً على تبذيره الكثير من النقود بتصوير أفلام كثيرة هدراً.

نقر شولتهايس بسبابته على عضد دالدوسي.

هذه المرة اضطر دالدوسي إلى الاستجابة.

© 2017 Litrix.de

هيا قل، ماذا سيحدث الآن.

لست أدري.

تابعت السيارة على الطريق نزولاً. في المرج إلى اليمين ما زال ينبت حشيش دسم.

يحب شولتهايس الحكي، وهو يحكي كثيراً. هذه ليست المرة الأولى التي يترافقان فيها. لكن من الأفضل الآن فتح الأعين. ما زالت هناك لافتات تحذير مغروسة في التربة، ولم يكن هناك أي إنسان.

هذه ليست علامة خير، فكر دالدوسي. فالناس يشعرون عادة، عندما تنطلق قنبلة من مكان ما، فيختفون قبل أن تصطدم بالأرض وتنفجر.

لا أدري سبباً لمشاركتي في هذا الهراء، قال شولتهايس. في واقع الأمر أنا على أي حال لا أريد الاستمرار.

ليس هناك مَن يجبرك. ترجل بكل بساطة.

الآن؟ هز شولتهايس رأسه نفياً. لست إنتحارياً. هل لاحظت قبل قليل الحشيشة المتصلبة؟ الرقيب أول يرى أنها مُشعِل لغم. ولعبة السيارة الصفراء أمام الصخرة الكبيرة؟

رأيتها. وأنت – هل رأيت الخيط الأخضر الرفيع؟

أين؟

كان ممتداً بموازاة الطريق، يصعب التعرف عليه بين الحشائش الخضراء. كنت بمحض الصدفة أضع نظارتي، لأن مارليز قبل قليل كانت قد بعثت رسالة نصية. إنها منفعلة جداً، قال دالدوسي، ستحصل قريباً على دب جديد لحظيرتها في تسڤِتلبورغ. حيوان صغير صادرته السلطات.

ما السبب؟ سأل شولتهايس وهو يهز ساقيه كنابضين.

كانوا يحتفظون بالصغير في حفرة إسمنتية ضيقة. الآن سيُنقل الدب إلى الغابة النمساوية الشمالية، وستشرف مارليز على نقاهته.

مهنة معقولة، قال شولتهايس. – السائق يسرع زيادة، ألا ترى ذلك أيضاً؟ وانحنى شولتهايس قليلاً إلى الأمام ليلقي نظرة على عداد السرعة أو ليحذر السائق، الذي استدار إلى الوراء نحوه في هذه اللحظة مديراً معه المقود بحركة سريعة، موجهاً الباص الصغير نحو المرج.

- اللعنة. ألا ترى بعينيك؟

بعد ثلاثة أمتار من الطريق توقفت السيارة.

أمسك شولتهايس بعضد السائق وهزه.

- أنت شتتَّ انتباهي، قال الرجل.

- أنا لم أفعل شيئاً! أنت كنت مسرعاً جداً. توقعتُ أن يحدث هذا. وها قد علقنا الآن في الخراء.

فتح دالدوسي الباب.

شده شولتهايس إلى الخلف. ألم تشاهد الأعمدة الحمراء؟

- طبعاً.

- وإذًا؟

- سأبحث عن أثر العجلات.

- لأي سبب؟

- لأنها في تقديري الإمكانية الوحيدة للعودة سالمين إلى الطريق الخالي من الألغام.

- وإذا حِدْتَ جانباً؟ هذه الزلّات هي الأشد خطورة، قال شولتهايس وأخذ يضحك.

- بلا سخافة الآن. أغلق دالدوسي باب السيارة ثانية وتسلق إلى الوراء. الحظ معنا.

- أتسمي هذا حظاً؟ دفع شولتهايس أصابع يده بين شعره ورفع باليد الأخرى سحاب سترته عالياً.

- كان يُحتمل أن نكون الآن في سيارة صغيرة بلا باب خلفي، قال دالدوسي.

- عندها كنتُ سأقودها بنفسي ولما كنا انجرفنا إلى هذا المرج الموبوء.

- حتى الآن لم يحدث شيء.

- وهناك ألغام لا تنفجر إلا باللمسة الثانية.

- إنزع حزام بنطالك، قال دالدوسي.

- ماذا ستفعل به؟

- أو هل معك طاقية أو قفازات صوفية؟

- معي شال فقط، قال شولتهايس.

- جيد. إفتقه.

- هل جننت؟ لقد حاكته لي يوهَنَّا.

- ليس لدينا وقت لنضيعه. الحشائش تنتصب مجدداً، قال دالدوسي. ركع على مساحة تحميل الحقائب الضيقة وحاول أن يطبع في ذاكرته مسار آثار العجلات بدقة. ثم جلس رافعاً ساقيه.

ناوله شولتهايس الشال إلى الخلف.

كان من الأسهل تعليم أماكن الدوسات ببخاخ ملون، لكنه لم يكن موجوداً معهم.

عادي تماما، أن يبقى شولتهايس جالساً تاركاً العمل له.

- لنحاول الآن بهذا الشكل، قال دالدوسي وداس بقدمه اليمنى في أثر العجلة.

- لا أدري إن كان من الذكاء أن تبقى جالساً على المقعد الخلفي، قال لشولتهايس.

فردَ الشال بحذر محدداً به الجانب الأيمن لأثر العجلة وامتداده، ثم وضع قدمه الأخرى على الحشيش. عندما وصل دالدوسي إلى الطريق، صفر الرقيب أول معلناً انتهاء التمرين.

ترجل شولتهايس من السيارة وانضم إلى بقية الصحفيين والمصورين.

زميلك كان محقاً، قال الرقيب أول لشولتهايس، كان عليك أن تحتمي في المقعد الأمامي عند السائق.

* * *

© 2017 Litrix.de

في طفولته كان دالدوسي يمتلك عدة نماذج طائرات ومجسم مطار، ولكن دون جسور ركاب، من التي تربط بين الطائرات ومبنى المطار. وكان مكروباً لذلك. لقد فتنته الطائرات منذ البداية، وأقلقته في الوقت نفسه. فأولى الطائرات الحقيقية جاءت من العدم، وانتزعته من طفولته الهادئة، هدرت كالرعد فوق الوادي على نحو مباغت.

ما كاد دالدوسي يرفع نظره حتى صارت على الجانب الآخر من الوادي، اخترقت شريط السماء الأزرق بين سلاسل الجبال بسرعة لا تُصدق، ولم يبق منها سوى بضع نقاط لماعة في نور الشمس، ذابت من ثم عند الأفق في الهواء.

لكن حالة الظهور الشبحي لم تنته بذلك، حسبما يتذكر دالدوسي، فبعد ثوان فقط ضج الوادي بأصوات رعود وفرقعة أصابت الجميع بالهلع. وحتى بعد أن غادرت قاذفات القنابل فضاء الوادي كان بالإمكان سماع الدوي المزدوج المتنقل الشبيه بانفجار مع ارتجاج وطقطقة زجاج النوافذ. كان كل شيء في حالة ضجيج: عوى كلب الجيران وكأنه تعرض للضرب، جن الدجاج في القنان وأخذ يخفق من خمٍ لآخر في فوضى، نكّس صغار الأطفال رؤوسهم وركضوا ليحتموا بالكبار. وتاجر المواد الغذائية، الذي خرج من محله ليستطلع الأمر، رفع ذراعه عالياً بقبضة مضمومة وصاح، عودوا ثانية أيها الجبناء.

لم يستوعب أحدٌ القاذفات التي اخترقت جدار الصوت، باعتبارها معجزة سفرٍ جوي؛ بل اعتُبرت التوابع الصوتية عبر الوادي فوراً كإزعاج من طرف المحتلين، وفُسرت كتمظهر عسكري للجيش الإيطالي.

ومنذئذ لم يعرف دالدوسي ما الذي طغى في نفسه: الخوف أم الفضول. لكن الأخير، على أية حال، كان من الكبر لدرجة دفعته إلى تسلق مزراب المطر إلى الشرفة العليا، على أمل أن يتمكن من المكان المرتفع أن يلمح شيئاً، لم يستطع رؤيته من الفِناء. وفي تلك اللحظة لم يبالِ بمنع جدته إياه من تسلق المزراب البالي. كان يريد دائماً أن يقتنع بأم عينيه، حتى حينما بدتا غير صالحتين كفاية، لا من حيث السرعة ولا الحدة.

وتذكر أن مزراب المطر كان محلولاً من مكانه في مرتكز تثبيته، ففقد دالدوسي توازنه وهوى بظهره على مدخل الكراج المسفلت.

كان يمكن أن تكسر رقبتك، صرخت جدته في وجهه وصفعته.

- مؤسف أن لا تسافر معي، قالت له يوهنا عندما توقفت التاكسي أمام بناء المطار.

- بل قد أسافر، قال دالدوسي. قفز خارجاً من التاكسي، أخذ حقيبتها وشنطته من صندوق المتاع وحاسب السائق.

وقفت يوهنا إلى جانبه وأشارت إلى شنطته.

لمح في وجهها ما بدا له فرحاً، نظر دالدوسي في عينيها، لكن يوهنا التفتت إلى حقيبتها الجرارة وسحبتها من قبضتها.

- سأسافر معكِ، سمع نفسه يقول.

أراد أن يعرف استجابتها للأمر.

- لا أصدق.

- ولكن يُفترض بك.

مشت أمامه وهي تهز برأسها. وحاشية معطفها المطري تتماوج مع الريح.

- أكره الأبواب الدوارة، قالت، بعد أن كادت حقيبتها تعلق بين الدرفة وصندوق الباب. ثم استدارت نحوه وهي تقول: إذن يمكن أن تقوم أنت بالتقاط الصور.

أبقاها على ظنها بأنه سيسافر معها.

توقفت في منتصف قاعة المطار. هذا جميل، قالت وقبلته على خده.

أمسك ذراعها بثبات، لكنه لم يدر ماعليه أن يقول. خشي أن يخيّب أملها. وقبل أن يتمكن من تصحيح الوضع، انطلقت إلى شباك أليطاليا. وبما أنه لم يتحرك من مكانه، توقفت هي أيضاً بعد بضع خطوات.

- ما الأمر؟ لن تسافر؟

- سأسافر على طائرة أخرى، قال دالدوسي. عن طريق فرانكفورت. لدي ما يجب إنهاؤه.

- في فرانكفورت؟

كم كان بوده في تلك اللحظة تثبيت فضولها في صورة، ميلان رأسها الخفيف، خطوط تجاعيد جبينها، التي قطعتها خصل شعرها. ستكون صورة جيدة، كان مقتنعاً بذلك، ليست من النوع المثير، ولكن من الذي يترك انطباعاً باقياً. ولينجح في ذلك لا بد من إضافة شيء غامض

إليها، يحرك طاقة خيال المشاهد، ظلٍ على قماش المعطف الفاتح، يُظهِر معالم رأس رجل، والخطوط العامة لشخص يبقى مجهولاً مع تأثيرٍ مهدِّد، ما يحوّل الصورة إلى موضوع تأويل مرغوب.

بما أن دالدوسي لم يجب، انضمت يوهنا إلى الرتل أمام الشباك، لم يكن العدد كبيراً.

استمر يفكر في الصورة التي فوَّتها وفي أن صوره باتت تنشأ غالباً دون كاميرا.

ربما كان هو نفسه ذلك الظل على معطفها.

إنه يحتاج إلى كأس نبيذ، سريعاً. كان فمه جافاً، وأحس بتنميل في أصابعه. يمكن لسيجارة أن تهدئه الآن، لكن المكان المتاح فيه التدخين لن يأتي إلا بعد تفتيش الأمان عند البوابة.

وضعت يوهنا حقيبتها على السير المتحرك للمتاع.

تابعها بنظره من مسافة خمسة عشر متراً عند تسجيل المغادرة.

أعجبه الاهتمام الذي أبدته به، وذهابها إلى مؤسسة **كليك** وذكرها الأمينة، التي ما زالت على ما يبدو تثني عليه رغم خلافهما.

كان يمكن أن نشكل معاً فريقاً جيداً، فكر دالدوسي، أن نعمل مستقلين. أزوّد النصوص التي تكتبها بالصور. وفي عمري سيكون من الأفضل، على أي حال، تصوير بعض اللاجئين في لامبيدوسا أو مالطا، بدلاً من توريط نفسي في أوضاع كل شيء فيها خارج السيطرة، وحيث يمكن في أي وقت أن تنفجر قنبلة بقربك.

مارليز بدأت منذ مدة تحتقره بسبب **كبسه الزر**. ولم تعد تقول حتى **تلقيط الصور**. تعبير **كبس الزر** يفتقد إلى أي تقدير لقيمة العمل. تعبيرٌ استخدمته أثناء الشجار.

ما دام يعرض نفسه للخطر، كان خوفها قائماً، وفي الخوف نوع من التأييد. كانت مارليز تحب أن يحكي لها حكاياته، عندما يعود من إحدى بقاع جهنم. صحيح أنها كانت في لحظات التوتر الشديد تصيح **توقف!** لكن **توقف!** هذه كانت مجرد مطالبة بمزيد من التفاصيل حول ما لم تره في الصور. في السنة الأولى من علاقتهما كانا من وراء باب البيت مباشرة يقفزان على بعضهما وينزعان ثياب أحدهما الآخر عن جسديهما ويتلمسان بنهم كل فتحة وكل نتوء. أحياناً كان دالدوسي يلجها على الأرض في الردهة، وبعد ذلك يبقيان مستلقيين هناك، مرهقين وراضيين. كانت تشد من مشجب الثياب أي جاكيت أو سترة وتوسد رأسه عليها. أخبرني،

كيف كان الوضع. هيا إحكِ. فيحكي ويحكي، وكأنه بهذه الطريقة يعوض لكليهما معاً عن الوقت الذي أخذه لرحلاته.

لم يعد يذكر متى كانت آخر مرة شجعته فيها على الحكي؛ لقد مضى وقت طويل على ذلك.

لكن الحكايات لم تتوقف، فكر دالدوسي.

أضحت فقط أقصر، ولا تلفت الاهتمام. وأيضاً أطول وأكثر وحشية. بعضها كان يتكرر، كتلك الليالي السوداء الخالية من الأضواء، التي لا مثيل لها في ڤيينا. كان دالدوسي يغرق فيها أحياناً، وينتظر أن تنقضي، لكنها لم تنقضِ مثل ليالٍ أخرى. وعندها كان يجلس مع جنود شبان من الشيشان في ظلمة بلا حدود، حيث لا يمكنك الاعتماد إلا على أذنيك. وبالنسبة إلى دالدوسي الذي أصيب في طفولته عدة مرات بالتهابات الأذن الوسطى، فباتت قدرته على السمع محدودة، كانت الظلمة الظلماء أسوأ أوقات فقدان الإحساس بالتوجه.

أحياناً في مترو الأنفاق أو في المصعد تبرق في رأسه فكرة: ماذا، إذا انقطع التيار الكهربائي الآن؟ وكان عندها يجد صعوبة في تجاهل الفكرة، إذ كانت تعود إلى ذاكرته فوراً تلك الساعات الطويلة، التي كان يجلس فيها إلى جانب حميد ورُسلان وتامرلان بانتظار هجوم الروس، دون أن يروا أي شيء إطلاقاً.

كان المرء يسمع أنفاسه مثل طنين عالٍ، ومن الجلوس بلا حراك والإنصات المستمر كان جسم دالدوسي يؤلمه في كل موضع. كان يحاول بكل مسامٍ في جسمه أن يستشعر ما يجري حوله. فإذا صرخ حيوان ما أو تحرك في الغابة كان يرتعب لدرجة أن يأخذ بالارتجاف. أما الشيشان فكانوا فوراً يضعون أيديهم على رشاشاتهم؛ كانت نأمة صوت، أو احتكاك قماش أو تجشؤ مكتوم كافياً لأن تلتفت رؤوس الجميع. ولكن طال الانتظار دون أن يحدث شيء، طال جداً. فالطرف الآخر كان ينتظر أيضاً، متربصاً في الظلمة صابراً في الصمت.

أن لا ترى شيئاً، كان بالنسبة إلى دالدوسي هو اللاجدوى بكل ما تحمله الكلمة من معنى. وغياب الضوء كان يشعره بالضيق.

هناك في الشيشان خبر بالتجربة الذاتية سبب ارتباط اللون الأسود في الكثير من الثقافات بالشر وبالموت. إن غياب الضوء المرئي لا يعني سوى الشؤم والتهديد.

حينذاك شرحت له مارليز أن الأسود الأشد حلكة هو لون السخام، أما بالنسبة إليه فقد كان دائماً تلك الليالي الباردة المبلولة إلى جانب رجال الدفاع المدني الشيشاني، مع علمه آنذاك بعدم صحة ذلك.

فيما بعد لفتت مارليز انتباهه إلى فراشة تنتمي إلى فصيلة بابيليون يوليسيس Papilion ulysses من ذات السواد القياسي. لها في جناحيها أنابيب نانوية دقيقة ومرتبة مثل غابة كثيفة، بحيث يعلق الضوء في الفجوات المتناهية الصغر بين الأنابيب الدقيقة ولا يستطيع الإفلات ثانية. وبهذه الطريقة يقع الضوء في آلاف الفخاخ الصغيرة.

ودالدوسي وجد نفسه أيضاً في فخ. فهناك في الحقل المفتوح كان كل شيء مفرطاً. حتى الأفكار بدت له فجأة صاخبة مجعجعة. فبدأ يكلم نفسه، وفجأة بدا له كل شيء سيَّان. في الظلمة حاول رسلان أن يسد له فمه، لكن أصابعه المبلولة القذرة ضلت الطريق إلى عينيه. لقد تبللوا جميعهم بماء المطر، فصاروا هشّين وفقدوا الحذر، حتى أنهم أشعلوا السجائر.

ولاحقاً عندما صار دالدوسي يرى أحدهم وهو يشعل السيجارة لشخص ثانٍ ليلاً، وعندما يظهر فجأة فوق لهب القداحة وجه رجل، كان يرى فيه ملامح غائمة لرُسلان أو تامرلان. كانت الذكريات تضيء مع اللهب، فيتعرف دالدوسي بعض التفاصيل، التي تختفي فوراً في الظلام مع انطفاء اللهب . إلا أنها ترجع مع إشعال السيجارة التالي ليلاً: رأس رسلان المتعب، أنفه الماخط، نظرته اللامبالية إلى الكلاشنكوف وعيناه الهامدتان. لقد استسلم رسلان ولم يعد يستجيب، فالانتظار طوال أيام تحت المطر وساعات الظلام الدامس الكثيرة ليلاً جردته من سلاحه الداخلي. كانت الكلاشنكوف مستندة عليه، لكنها أضحت أداة بلا فائدة. لقد آذته وكسرته ساعات الانتظار، فلم يعد بالإمكان إيقاظه مجدداً، مع أن جسمه خالٍ من أي خدش.

لربما أحست مارليز بالشفقة على دالدوسي أو على جميع الكائنات المتواجدة في مواقعها تنتظر، والتي نسيت مثل رسلان معنى الحياة اليومية وأبسط أشكال الحياة المدنية.

لربما لم تستطع أن تحبه إلا من خلال هذه الشفقة وحسب. لم يعد هناك ثمة ما يسعف، يجب عليه أن يعرف، ويجب عليها أن تتكلم.

لم يسبق له قط أن استسلم، ولا حتى في تلك الليالي الشيشانية، حيث صار في لحظة ما كل شيء تقريباً سيان بالنسبة إلى الغالبية، ولكن **تقريباً** فحسب؛ والآن أيضاً لن يستسلم دالدوسي، سيناضل في سبيل مارليز، سيفعل كل شيء كي يكسبها ثانية.

كانت يوهنا تقف أمامه، مستخدمة بطاقة صعود الطائرة كمروحة. ياله من حَر، قالت. كل شيء بلغ درجة الغليان. ولكن ربما كان السبب شيئاً آخر. ضحكت. أتسمح لي بأن أسالك، ماذا لديك في فرانكفورت؟

تبديل الطائرة، أجاب. لست مسافراً إلى پالرمو، وإنما إلى ڤينيسيا.

عندما رأى خيبتها أضاف: كان بودي أن أطير معك، لكن – تردد لحظة – لا أستطيع. عندي شغل.

أهناك حرب جديدة ضد العثمانيين؟ أو ضد المحاصِرين النمساويين؟ أم هل أعادت جمهورية ڤينيسيا المبجلة إحتلال القرم؟ ونظرت إلى بطاقة صعود الطائرة.

لا، قال دالدوسي. إنها مهمة سلام خاصة.

رفع كتفيه وبوَّز شفتيه. لن أصور سوى الحمائم.

الأول تحول إلى التقاعد شاباً، والثاني إلى مصور حيوانات – أهذا ما تبقى منكم أيها الجنود الشجعان؟

جنود شجعان؟ لطالما كنا نترك للآخرين أن يحاربوا بالنيابة عنا.- كم تبقى لك من الوقت حتى الإقلاع؟

ليوهنا يدان تعجبانه، يدان بلا زينة، بأصابع طويلة قوية وأظافر ليست قصيرة جداً. كان لأمه مثل هاتين اليدين في شبابها. بمرور الوقت امتلأتا بالتجاعيد وصارت أظافرها تتقصف. لم تعد يداها توحيان بالثقة بالنفس كالسابق، لكنهما بقيتا ماهرتين، لاسيما إذا تعلق الأمر بضم خيط في ثقب إبرة أو بتقطيع البصل ناعماً. وعلى نقيض يدي أبيه، فإنهما لم تضرباه قط. يدا الأم كانتا لتقديم المعونة وليس للحركات المتكلفة. في المرة القادمة عندما سيزور دالدوسي أمه فسيصور يديها، ولا شيء سواهما.

ساعة ونصف، قالت يوهنا ناظرة إلى ساعة يدها.

رافقته إلى شباك شركة لوفتهانزا، ثم عبرا تفتيش الأمان.

- وماذا يُفهَم من تعبير **مهمة سلام خاصة؟** ووضعت جوازها وبطاقتها في الجيب الجانبي لحقيبة يدها.

- مارليز هجرتني. وقعت بيننا مشاحنات مزعجة قبل سفرها. أريد أن أعاود الحوار معها ثانية.

- في ڤينيسيا مدينة الحب؟ ياللرومنسية!

هل تسخر؟ هل وجدته سخيفاً؟ أم هل يُستَشف من كلامها خيبة جديدة؟

- غادرتني وذهبت مع رجل ڤينيسي.

- يؤسفني ذلك .

- هل يؤسفها ذلك؟

خلعت يوهنا معطف المطر وحشرته تقريباً في حقيبة يدها. كان ثوبها مناسباً لجسمها تماماً.

ما هي ميولها الجنسية يا ترى؟

في مطار طرابلس آنذاك اعترف له شولتهايس بأنه لم يمارس الجنس الشرجي مطلقاً. أيعود الأمر إلى يوهنا أم إلى شولتهايس؟

لقد موّه الأمر بصراحة ظاهرية، لكنه لم يرغب في أن يكشف له سبب هجر يوهنا إياه. إنهما متلائمان تماماً، قال شولتهايس. وشعر بتقارب روحي معها. كلاهما سليل أوضاع اجتماعية متشابهة.

ثرثرة شولتهايس وتّرت أعصاب دالدوسي. ربما لهذا السبب طالت علاقته بمارليز: لم يكن مضطراً معها إلى الدجل، ولا إلى تزويد علاقتهما بإيضاحات رومنسية. أم هل يكمن أحد أخطائه هنا تحديداً، في إهماله هذا الجانب؟

دخلت يوهنا أحد محلات السوق الحرة، فلحق دالدوسي بها، رغم أنه لا يحب هذه المحلات.

- بعد بضعة أسابيع ستحل ليلة الميلاد المجيد، قالت. أحتفل بها دائماً مع أمي. وأنت؟

مد دالدوسي يده وتناول زجاج كولونيا بعد الحلاقة، وبخ منها على ظهر يده. كيف تجدينها؟

- مقبضة جداً.

- لا أدري ما سأفعله في هذه السنة. أعاد الزجاجة إلى الرف. – في طفولتي حلمت دائماً بشجرة كبيرة مليئة بالأضواء مع شرائط الزينة ونجمة الذروة، وبكعك الزبدة الدسم الجميل وبأهِلَّة الڤانيليا، غير أن صور كتب الأطفال لم تتحول أبداً إلى حقيقة.

- ولماذا لا؟

- ربما كان ما ينقص هو الألق، الذي ينتج من الفرح، قال دالدوسي. كان عندنا شجرة طبعاً، وكان عندنا كعك، لكننا كنا أسرة حزينة، وعيد الميلاد كان مسألة حزينة.

- النقود لم تكفِ؟

- هذا أيضاً، لكن الأمر لم يتعلق به. من الصعب الاحتفال مع أب سكران قليل الكلام.

في الحقيقة لم يتعلق الأمر بشجرة الميلاد إطلاقاً، فكر دالدوسي، بل بأبي. كل الآمال والتوقعات كانت مرتبطة به. في ليلة الميلاد لم يأت ولا مرة في الوقت المناسب، حسبما كان وأمه يتمنيان، وكانا يظنان دائماً أنهما بطريقة ما مذنبان، ما دفعه إلى الشرب.

- مارليز وأنا كنا نطبخ، قال دالدوسي. وغالباً لم أكن موجوداً، فكانت غالباً تستاء مني.

- وأنا أيضاً، قالت يوهنّا .

* * *